

ذكرى

محمد أركون (1928-2010)

عبد القادر جغلول (1946-2010)

لا يمكن للمركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية و كذا مجلة إنسانيات عدم إحياء ذكرى الزميلين الراحلين محمد أركون و عبد القادر جغلول بعد مرور سنة عن تاريخ وفاتهما. فالرجلان غنيان عن التعريف سواء في بلدهما الجزائر أو في العالم بأسره، و ذلك بفضل أعمالهما التي تلقى صدق واسعاً في أوساط الباحثين من مختلف مجالات الفكر و العلوم الاجتماعية. إنهما شخصيتان مرموقتان تجتمعان و تختلفان في العديد من النقاط، و الأكيد أن مؤسساتنا البحثية و الجامعية لم تتمكن لحد الساعة من الإحاطة بكل الإسهامات المعرفية الضخمة التي قدمها للمجتمع. بالمقابل، فقد تبيننا من خلال اتصالاتنا بالطلبة و الإطلاع على المقالات المرسلّة إلى مجلّتنا من طرف الباحثين و المساهمين الذين يحيلون إليهما أن هناك عملاً جارياً في هذا الاتجاه.

إن وحدة البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية التي كانت تابعة لجامعة وهران و من بعدها المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية الذي انبثق عن هذه الوحدة سنة 1992 و كذلك العديد من الباحثين المشاركين و الدائمين، يدينون كلهم لهذا الفكر و ذاك و إلى غيرهم من زملائنا الذين رحلوا عنّا بالكثير.

إن المسار الخاص بمحمد أركون جعله يغادر الوطن في وقت مبكر، ليعود بعدها بزمن من أجل حضور الندوات و اللقاءات العلمية. و لكنه عندما قرر أن يجوب العالم، كان قد أسس سلفاً لأبحاثه في منطقة القبائل، مسقط رأسه، و وهران حيث أتم دراسته و في مناطق أخرى من الوطن. فقد اشتغل فترة طويلة حول الفكر الإسلامي، و تطرق إلى الجانب الحضاري فيه من خلال الرجوع إلى الجذور المؤسسة للفكر التقليدي. و من ثمة، كان لا بد له من بناء الترسانة المنهجية و النظرية المناسبة. كما أنه كان رائداً من رواد العقل النقدي و أستاذاً معروفاً على المستوى الدولي.

لقد توطدت صلتنا بهذا الرجل العظيم منذ مداخلته في أحد الملتقيات التي نظمها المركز و خاصة عند مشاركته في مجلة إنسانيات بوصفه عضواً في لجنة

الإشراف (ابتداءً من سنة 1999). و إذا لم يكن باستطاعته العودة إلى الوطن في السنوات الأخيرة لأسباب مختلفة و بالرغم من بعض الدعوات¹ التي وجهناها له، فإنه لم يبخل علينا بكتبه التي كان يرسلها إلينا بمجرد صدورها، كما كان يعبر لنا عن رضاه تجاه عدد من المقالات و الأعداد من مجلة إنسانيات. ومن جهته، قام عبد القادر جغلول، من خلال أعماله، بتقديم قراءات عن فرانس فانون و ابن خلدون، قبل أن يكرس معظم جهده الفكري في استكشاف مجال الإنتاج الفكري و الأدبي لماضي بلادنا الاستعماري، من خلال أيضا علاقته بالسياسي و الصحة الوطنية. لقد سمحت له الفترة التي قضاها بفرنسا و الممتدة من 1980 إلى 1990، بعيدا عن سياق السنوات المريرة التي عانينا منها جميعا، من تعميق بحثه و أفكاره التي عاد ليدافع عنها في وطنه. و لن ينسى المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية التشجيعات و المساهمات القيّمة التي قدمها هذا الباحث لتفعيل حركته الفكرية، حيث تجددت صلته به خاصة في الفترة الممتدة بين سنة 1990 و سنة 2000. فعلى أن نتقبل اليوم فكرة أن محمد أركون و عبد القادر جغلول قد رحلّا عنّا وإلى الأبد.

لقد أسهبت الصحافة المكتوبة، الإذاعة و التلفزيون في تكريم الرجلين، إلا أن التكريم الحقيقي سيكون يوم تثمر البذرة التي أسهما في زرعها في حقل البحث في مجال العلوم الإنسانية و الاجتماعية، و ما سينتج عنها من انبعاث و توطيد لسيرورة حقيقية في سبيل جمع و نشر المعرفة التي تخص الإنسان و المجتمع في الجزائر و في البلدان المغاربية، و غيرها. و سنعمل بمعية الجميع على تحقيق هذا الهدف في المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية و من خلال مجلة إنسانيات.

صحيح أن زميلينا و صديقينا محمد أركون و عبد القادر جغلول قد رحلّا عنّا، و لكنهما خلفا وراءهما موروثا و إسهما ثريا في الفكر العالمي و الذي لا يمكن إلا أن يحفزنا على البحث و ينير طريقنا نحو المستقبل. رحمهما الله و أسكنهما فسيح جنائنه.

نورية بنغبريط-رمعون

ترجمة سورية مولوجي-فروجي

¹ على سبيل المثال الملتقى المنعقد سنة 2004 حول حوصلة المعارف في العلوم الاجتماعية و الإنسانية.